عقد المرجان
الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان

تأليف : العلامة العارف بالله
سيدي أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه

تحقيق: ذ. محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

عقد المرجان

الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان[1]

باسمك اللهم افتح. و صل وسلم على من خاطبته بقولك ألم نشرح.

هذا عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان

من خديم الحضرة الأحمدية التجانية أحمد بن الحاج العياشي سكيرج كان الله له وليا. و رفعه مكانا عليا. إلى من خاض بحر المعارف فاستخرج منها دررا. و دخل روض الأنس الذي لا يصف ما فيه واصف يجني منه زهرا و ثمرا. الشارب من حوض الحقيقة. ما كمل به في بساط التحدث بالنعم الجليلة و الدقيقة. شيخ الطريقة السليمانية سيدي محمد بن سليمان. زاده الله بسطة في العلم و الجسم بين الأعيان. و سلام الله على تلك الشمائل الأريحية و الهمم المضرحية عن مدد مولانا رسول الله عليه السلام.

---

[1] الشيخ محمد بن سليمان الندرومي، فقيه صوفي، من أهل ندرومة، التابعة لعمالة وهران بالجزائر، كان درقاوي الطريقة، ثم تفرد بعد ذلك بطريقة خاصة به تدعى السليمانية، ثم ادعى أنه مأذون له من الحضرة النبوية في تلقين ثلاث طرق أخرى، فضلا عن طريقته (السليمانية) وهي القادرية و الطيبية و التجانية.
و أحدث تصدره لجميع الطرق بما فيها التجانية ضجة بين أوساط المريدين التجانيين هناك، لكن بعضهم كان يهابه لمكانته من العلم و الولاية و التصريف، فلم يستطع أحد منهم الإعتراض عليه، فرفعوا الأمر للعلامة سيدي أحمد سكيرج، الذي كان حينها حديث العهد بقضاء مدينة وجدة.
و بناء عليه تصدى العلامة سكيرج للشيخ المذكور، مبينا له موقع الخطأ في تصدره المزعوم، ودارت بينهما في هذا النطاق رسائل كثيرة، منها هذا الكتاب الذي سماه: عقد المرجان، الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان، كما أجابه بتأليف موسع آخر يحمل عنوان: تنبيه الإخوان، على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الأزمان، و لا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان.
توفي الشيخ محمد بن سليمان الندرومي بموطنه في شهر جمادى الأولى عام 1346هـ نونبر 1927م.

و بعد فإن لله نفحات تحيي القلوب. و تكشف الكروب. و يستحيل بها النحاس إبريزا. و الذليل عزيزا. و العدو محبا. و البغيض محبوبا. و البعيد قريبا. و المخطئ مصيبا. و نحو ذلك من الجمع بين الضدين. بمقتضى التجليات التي لا تحصر كشفا و ذوقا ومشاهدة. بتعمل و غير تعمل. عن مجاهدة أو غير مجاهدة. فإن دائرة الفضل متسعة لا تحجير فيها على داخلها من قطف أزهارها و أثمارها. و ما شاء بما شاء لمن شاء منها. و في تلك الدائرة دوائر اقتضى الفضل الخصوصي تحجيرها على من لم يكن من أهلها بما عوضهم به من غيرها نعمة أو نقمة. و الكل لا يخلو عن حكمة. والجميع بحمد الله في كنف الرحمة. بمقتضى سبقت رحمتي غضبي.[1]

و من تحقق بهذا الأمر لم يستعظم ما تظاهر به الأكابر من التحدث بالفضل الذي منحهم الحق به. و كان أول مُصدِّق لأهل الله فيما يقولون. و لكن حجاب المعاصرة مسدول رواقه على غير أهله. فلا يرون ما وراء الحجاب من خصَّه الله بفضله، إظهارا لبديع الحكمة و إخفاء لسرها في خواص كل أمة و كل ميسر لما خلق له.[2] ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة.[3] و لآمنت كل أمة بنبيها. ولأذعن كل الناس لمن تظاهروا فيهم بالمشيخة أو بالولاية. و في ذلك حكمة بالغة.

---

[1] إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: قال الله عز و جل: سبقت رحمتي غضبي. إهـ.. صحيح الإمام مسلم (كتاب التوبة) باب في سعة رحمة الله تعالى رقم 6919، صحيح البخاري (كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى بل هو قرءان مجيد في لوح محفوظ رقم 7387. مسند الإمام أحمد (مسند أبي هريرة رضي الله عنه) 2: 480 رقم 7277 و 3: 81 رقم 8888. مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب التوبة) باب منه في رحمة الله تعالى 10: 358 رقم 17612.

[2] إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم حين سأله أحد أصحابه: يا رسول الله فيم يعمل العاملون؟ قال كل ميسر لما خلق له. أنظر صحيح البخاري (كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى و لقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مذكر رقم 7385 (كتاب تفسير القرءان) باب قوله تعالى فسنيسره للعسره رقم 4830. صحيح مسلم (كتاب القدر) باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه و كتابة رزقه وأجله و عمله و شقاوته و سعادته رقم 6688، رقم 6684.

[3] سورة هود، الآية 118.

و إني أنهي إليك أيها الأخ الصالح أنه لم يجيء أحد بما جئت به إلا عودي[1] بمقتضى الوراثة المحمدية. فجدير بك أن تقف موقف الثبات عندما ترى وثبات المنكرين عليك. و تتخلق بخلق من قال: اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.[2] فالمنصب التي انتصبت فيه قاض عليك بأن تنهج المنهج الذي قيل فيه لصاحب الخلق العظيم: خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين.[3] فلقد طالعت شريف كتابك. و هو أول كتاب تشرفت به من عندك. فوضعته على الرأس تنويها به. و تعظيما لشأنه. وتصفحت ما فيه. فإذا سطوره شطور من المنى تلمع من بين ألفاظه أنوار المعاني و شمس المعارف، بعد إنبائكم لنا بمحبتكم لنا في ظهر الغيب منذ أخبركم عنا محبنا العارف بالله خالكم مفتي الحضرة المستغانمية زاد الله في معناه. فإنه رعاه الله ذو مرآة صافية ينظر فيها بنور الله.[4] و لم يرى منا إلا سورته و صورته، فحلانا بأوصافه، فما ظهر له فينا من الشغف برقائق الفن اللدني الموجب لمحبتك لنا فهو كما تعلم بالمثابة التي تعلم. و ربما اقتضت فراسته ذلك فينا جعلها ربي حقا. أما أنا و أعوذ بالله من قول أنا فلست ممن ذاق من ذلك الفن في خاصة نفسي. لا في معناي و لا في حسي. و إنما كنت ولوعا بمطالعة كتب القوم في اليقظة و النوم، أطالع في اليقظة ما يتجلى لي في

---

[1] إشارة لقول ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه و سلم: لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، و إن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. إلخ .. أنظر صحيح الإمام البخاري (كتاب التعبير) باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه و سلم رقم 6830. صحيح مسلم (كتاب الإيمان) باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم رقم 358. مسند الإمام أحمد (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها) 7: 318 رقم 25468 و 7: 332 رقم 25559.

[2] إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه و سلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، و هو يمسح الدم عن وجهه و يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. إهـ .. صحيح البخاري (كتاب الأنبياء) باب حديث الغار رقم 3402

[3] سورة الأعراف، الآية 199

[4] إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ إن في ذلك لآيات للمتوسمين. إهـ .. أنظر سنن الترمذي (كتاب تفسير القرءان) باب و من سورة الحجر رقم 3239. مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب الزهد) باب ما جاء في الفراسة رقم 17940. مسند الشهاب القضاعي 1: 387 رقم 663. جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الهمزة مع التاء) 1: 67 رقم 321.

المنام في صور تعد عند غيري من محكمات السور. فكم رأيت و ما دريت. و ليس قولي هذا بتنزل عن المقام. و إنما أخبرك بحقيقة الأمر بصدق الكلام.

و قد تأسفت حين بلغني ما بلغني عنك في سياحتي. و لم تسمح المقادير باجتماعنا. فكنت منذ رجوعي و أنا أجد ميلانا مني يجاذب الحب في الله إلى السؤال عنك. ويعجبني ما أنت عليه من عمارة أوقاتك بما يعود عليك فيه النفع عاجلا و آجلا. و لم ألتفت لعارض العرض. لأنه لم يكن لي في ذلك غرض. و لم يحصل ما يكدر تلك اللطيفة الباطنية الممتدة بين القلبين في ظهر الغيب. تحققا مني بأن الحق لا تحجير عليه فيما منه و إليه. و لطالما ناضلت عنكم و عن أهل النسبة بما أرجوا من الله أن يجازي عنه بالأخذ باليد. إلى أن نصل غاية المقصد.

و فرحت كثيرا منذ وصلني أنكم انخرطتم في حزب الطريقة الأحمدية التجانية بإذن خصوصي. تيقنا مني بأنكم حللتم في الضمان الأحمدي بالظفر بالمقصود. فوق ما يظن. و تم بذلك لكم الفتح. و كمل لكم به الربح. ثم صار يبلغنا عنكم ما تتعاطونه من الأخذ بيد المريدين. و ما تتحدثون به من الفضل و المناقب التي ضمنت لكم بين الهادين المهتدين. فلم يزدنا ذلك إلا كمال تصديق لجنابكم بين إخوانكم و أحبابكم. حتى بلغنا أنكم صرحتم بالإذن لكم في تلقين الطريقة التجانية من غير اعتبار شروطها المقررة. و حملتم الانسلاخ المشروط فيها على محامل أنت أدرى بها. و لم أصدق بتلقينكم بالإذن لهذه الطريقة مع غيرها حتى وقفنا على رسالتكم التي وجهها للمقدم بالزاوية التجانية بفاس من جبل ندرومة الشيخ الأخضر الجبلي[1] و حين طالعتها مع من طالعها تعيَّن على جمع من أهل الفضل إلزامنا بالجواب عن مضمّن تلك الرسالة. ليكون على بصيرة من ذلك الأحباب. فكتبت الجواب الذي ستصل

---

[1] الأخضر المنصوري الجبلي، فقيه صوفي، من مريدي الطريقة التجانية، له فيها محبة و اعتقاد راسخ، و هو من أهل مدينة ندرومة بالجزائر، كان من أبرز المعترضين على الشيخ محمد بن سليمان الندرومي، بسبب إقدام هذا الأخير على تلقين الطريقة التجانية للناس ضمن الطرق الأربعة التي كان يلقنها.

سيادتكم منه إن شاء الله نسخ تذكارا لكم و تبصرة للمستبصرين. فترجعوا عن تلقين هذه الطريقة بغير شروطها. و تكتفوا بتلقين طريقتكم المثلى فهي بحمد الله كفيلة لكم بما ترجون من الله. مع حصولكم على سر الطريقة التجانية بالإذن لكم فيها في خاصة نفسكم. فلا تستوجبون بذلك اعتراضا من أحد. و لا يتوجَّه إليكم إنكار من وقف مع شروط طريقته. و أنتم أولى بمن يعذر من يذب عن حمى طريقته. قاصرا كان أو طويل باع. و عسى أن يكون بالجواب نفع تام بين الجانبين. و يصلح الله به ذات البين.[1]

ثم إني أقول لك أيها الأخ الصالح أن ما ذكرتموه لنا مما سلكه معكم السيد الأخضر الجبلي حتى شوش عليكم الحال. حيث قبض الرسالة و أشاع بها في نواحي كبيرة بقصد الرد. فانقبض قلبكم من ملاقتنا من أجل هذا. مع أنه رجل لا معرفة بينكم وبينه. لكنه كان من جملة المتعصبين على إذايتك منذ حللتم ندرومة. لكن مثلكم لا يستفزه الغضب حتى يقوم للإنتصار لنفسه بالدعاء على رجل رأى ما خالف اعتقاده من جنابكم بتعرضكم لتلقين طريقة أخذ عليه العهد فيها بشروط لم تراعُوها. فَهَلا أغضيتم بطرفكم عن تعرضه لكم بالإذاية. و تصبروا كما صبر أولوا العزم. فلا يقال شيخ الطريقة السليمانية قام يرد بنفسه على مريد من مريدي الحضرة التجانية. فينسب لأحدكما الإنتصار للنّفس تبعا للهوى. و يسري في هذا عار على المريد الذي لم تخرج نفسه من حجر الترقية. و لكن العار على شيخ التربية الذي يقابل ضعفاء العقل بما لا يحمله عقلهم. و هو في مقام يقضي عليه بالتجاوز بقدر الإمكان. و إن كانت المرتبة لا تسامح من أساء الأدب عليها. و كفى بالله وليا و كفى بالله نصيرا.

[1] عملا بقوله صلى الله عليه و سلم: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة و الصيام و الصدقة، قالوا بلى. قال إصلاح ذات البين، و فساد ذات البين هي الحالقة، أنظر مسند الإمام أحمد (من حديث أبي الدرداء) 7: 598 رقم 27097. سنن الترمذي (كتاب صفة القيامة) رقم 2558. سنن أبي داوود (باب في إصلاح ذات البين) رقم 4915. موطأ مالك (كتاب حسن الخلق) باب ما جاء في حسن الخلق رقم 1652.

و هلا حملتم ما فعله معكم محملا يليق بجنابكم بأن تجعلوه لسان حق في الخلق قيضه الحق لكم لتراجعوا ما منحتكم الحضرة التي لا تحجير عليها. فعسى أن يكون الإذن الذي حصل لكم خاصا بكم دون الإذن لكم في تلقين هذه الطريقة. التي لا تصح إلا بمراعاة شروطها. فتقف عن تلقينها بغير شروطها. فهو لسان الحق أقامه الحق اعتناء بكم. ناصحا في صورة منكر بين الخلق. فتأخذوا منه ما يليق بكم. و تغضون الطرف عما يظهر أنه عورة و ما هو في الحقيقة بعورة.

و هلا حملتموه أيضا محمل المريد المسترشد في طريق شيخه حيث رأى ما لم يبلغه عقله. فأشاع تلك الرسالة يسأل أهل الذكر عما اشتملت عليه. فتحصل له الذكرى. ويعرف ما تدعوا إليه في المرة الأولى و الأخرى. و هلا حملتموه أيضا على أنه من أعوان الحق في نشر تلك الرسالة. ليطلع عليها من لم يعرف المقصود في طريقتك السنية. فيتحقق بأمرك من لم يحط به خبرا.

و أنت رعاك الله بنفسك أمرت أحبابك في آخر تلك الرسالة بأن يقرؤوها للطلبة الذين أنكروا عليكم الجمع بين الطرق. فهو في الحقيقة كالممتثل لأمرك فكان من حقك مقابلته بالتجاوز عنه و غض الطرف عما صدر منه في صورة القبيح. و هو في الباطن مليح. و في طي ذلك ما لا يخفى عنك من درء جملة من المفاسد. و جلب جملة من المصالح الشخصية و العمومية. زيادة على ما في ذلك من معاملة الناس بالسياسة التي جرى عليها عمل الأنبياء. و قد قال الحق للنبي الموصوف بالقوة ولأخيه في مخاطبة أقوى الفراعنة: فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى.[1]

[1] سورة طه، الآية 44

و إن الحق تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.[1] فالمتعين على السيادة عدم الإنتصار لنفسه بذكر الوعد الذي وعدت به على لسان من لا ينطق عن الهوى. و لا بذكر الوعيد الذي يجازى به المنتقد عليك. و إن كنت في ذلك مضطرا من جهة أخرى تعلم سرها و خيرها و شرها. فإن ميدان المدافعة عن النفس قد يضيق بصاحبه. فيريد بسط الحق فتضيق به العبارة. و لربما كان للنفس حظ فيناضل عنها متابعة لذلك الحظ. حتى إنها ربما ترفض ما تدافع عنه إلى مزلق الإنقطاع عن الطريق التي يناضل عنها من غير شعور. و الله عليم بذات الصدور.

و لقد جرى بنا القلم إلى ذكر هذه الخزعبلات و لم أرد بها غير الحق. فإن صادفت عندكم وجه قبول فذلك المطلوب. و إلا فهو كلام من غير شيخ مربي. ليس على من لم يلتفت إليه من ملام. و قد اطلعت على ما وجهتم صحبة رقيمكم لنا فرأينا فيه سحرا حلالا. تنفعل به نفوس من ذاق المعنى. أو دخل المغنى. وإني لأقول لكم قولة ذي صدق مراقب للحق: أيها الولي الحميم، قد كنت فيما سلف قبل اشتغالي. بين الموالي. ولوعا بمطالعة كتب الحقائق. حتى دهشت في أمري بما نراه من نفسي. و يتجلى لي من حضرة الغيب. و أستحلي التكلم بين قوم أستميل قلوبهم إلي وأستلذ ما أكتسبه منهم. فهم يكرمونني لصلاحي في نظرهم. و أنا آخذ منهم بإفصاحي لهم عن حقائق غيبية أجدها في نفسي في محضرهم. و كادت نفسي أن تسوِّل لي التظاهر بدعوى ليزيدوا في إكرامي. لكوني لا أعرف حرفة أكتسب بها المال أو الجاه سوى ذلك. حتى وفقني المولى بخشية منه أن لا أعد نفسي في حيز من يغر الناس في الله. و لما علم تعالى صدق إنابتي نشلني من وحلتي. و شغلني عني. فزجَّ بي في بحار المخزن

---

[1] إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم لمولاتنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، و يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، و ما لا يعطي على سواه. إهـ.. أنظر صحيح الإمام مسلم (كتاب البر و الصلة و الآداب) باب فضل الرفق رقم 6553. مسند الإمام أحمد (حديث عبد الله بن مغفل المزني) 5: 46 رقم 16483، رقم 16486. صحيح ابن حبان (باب الرفق) ذكر البيان بأن الله جل و علا يعين على الرفق بأن يعطي عليه ما لا يعطي على العنف 1: 273 رقم 548. ذكر ما يجب على المرء من لزوم الرفق في جميع أسبابه رقم 551.

حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.[1] و الحمد لله على هذه الحالة. و قد شرحتها لك عسى أن تجد فيها إشارة لا يعرفها غيرك فتعمل عليها.

و قد حركت منا ساكنا بخطابك المعسول. فورد عليَّ وارد بأن أكتب لك ما يمليه عليَّ هنا. و لربما تجد فيه فائدة. و هي من تتمة الجواب. و ذلك أنه حدا بي حادي المعرفة إلى مخدع أهل الصفة. من باب الصّفا. لأرى ما كملت فيه الصفة. فدخلت بسلام. أجر ذيل الاحتشام. بكمال احترام. فتلقاني من أمام المخدع قيِّمُه. و قال: إلى هنا يا أبا العباس ماذا تريد؟ فقلت له إني مريد لا أريد. فقال: و هل من مزيد. فقلت: نعم أريد ما تريد و لا أزيد. فقال: تجرد من لباس العيب. و اخلع نعلي الهوى و تطهَّر بماء الغيب.[2] و البس رداء الرضى. و تأزر بمئزر التفويض. و البس نعلي التسليم. و سر حتى تصل لبساط النعيم. و اجلس مجلس من نودي للإكرام في حضرة ذوي الكرم. فهناك ترى ما ترى و تسمع ما تسمع. و لا أخالك بصائر عن كتم ما يتراءى لك. إن لم تخش آلك. فإنك إن بحت بالسر. كنت مُكَذَّبا فيه في العلن و السر. و ما تنجح مساعيك. و أعين الأقران تراعيك. فقلت: قد فهمت ما تقول. فهل من دليل للوصول. فقال: إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير. و لكن لا أرى أحدا. فاجعل دليلك الكتب و السنة. و برهانك التقوى عندما تناغيك الألسنة و قد قيل لك:

لا تقتدي بالذي زالت شريعته عنه و لو جاء بالأنبا عن الله

و لا يمنعك الهوى باتهام البرءاء به. فإن تحت سوء الظن ما لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما وزن شعرة منه لعلو مراتبه. فقلت: لقد قلت حقا. و لكن أرشدت للمرشد بعد أن زهدتني فيه. فقال لي: المرشد هو نفس ما أرشدتك إليه. فهو يبصرك و يسير بك

[1] إشارة لقوله تعالى "ليقضي الله أمرا كان مفعولا" سورة الأنفال، الآية 42

[2] من هذا القبيل قول بعض الأكابر:

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر و إلا تيمم بالصعيد و بالصخـــــر
و قدم إماما كنت أنت إمامـــــه و صل صلاة الفجر في أول العصر
فهذي صلاة العارفين بربهـــــم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحـــر

و تصير له و يصير لك لمطلبك. فقلت: هل هو حي أو ميت؟ فقال: هو ميت حي و حي ميت. جمع بين الضدين في اللفظ باتحاد المعنى. عند من دخل المغنى. فلا يتأثر باعتراض عليه لانتصار الحق له حوض ورده الوارد و الإدامة عليه. فتمسك بحبل حبه إذا اهتديت إليه. فقلت: أين هو؟ فقال هو تحت سوء الظن مع براءته. فلا تلتفت للدَّعوى. بعد التقوى. و لا تخسر الميزان. بلسان إنسان. فإن خرجت عن بشريتك. وصلت لبغيتك. فقلت: إني مقيد بطريق. فقال: قد عرفت المقصود. و غرفت من الحوض المورود. فالزم واقفا بالباب. فها أنذا أدخل في المخدع تحت و آتيك. بما يواتيك.

فوقفت منتظرا. لما يصدر لي حتى خرج مستبشرا. و أشار إلي أن أدخل. فدخلت البساط. و أجلسني محل انبساط. بين قوم أهل اغتباط. فنظروا إلي نظر مستنكر. وقالوا: معتقد أو منتقد منكر. فأخذ مني الدهش حظه. فلم أنطق بلفظةْ. ثم سكتوا وأنصتوا. و بعضهم ينظر إلى بعض. و يتفرَّسون في هل أنا من أهل الحب أو أهل البغض. فالتفت إليَّ زعيمُهم و وجَّه إليهم الخطاب. و قال: لولا أنه من الأحباب. ما سوعد للدخول لهذا الجناب. فاشرح لنا قضيتك و من أوصلك إلى هنا. فقلت إلى هنا. صيَّرنا إلاهُنا.

لولا العناية كان الأمر فيه على حد السواء فذو نطق كذي بكم

فقالوا: أجل، من وصل إلى هنا فهو مبجل. فقلت: الله أعلى و أجل. و هو المقصود. ومن عرف ما قصد. هان عليه ما وجد. فقالوا: حدثنا أول حديث حدثك به من أتى بك. و دعنا من عتابك. فقلت يا قوم دعاني داعي الفلاح. حي على الفلاح. فلبيت الدعاء حتى وصلت إليه. فقال: إن أردت معروفي. يا صوفي.

فكن رجلا نفسه في الثرى و هامة همته في الثريا[1]

و لا تجزع بما ألم بك من ألم. "فإن الهموم بقدر الهمم".[2] فقلت له: و أين هذا المعروف المجهول الذي تصفه لي لأبذل النفس و النفيس في إدراكه. و لو انفرد في أفلاكه، فقال: يا هذا إن عرفت نفسك عرفت ربك.[3] و إن عدمت حسك وجدت قربك. فأنت لا أنت إذا كنت أنت. و أنت هو إذا كنته. فقلت: هذا كلام فصيح. أو لغز على معنى صحيح. فقد رأيت قوما وُلِعُوا بمثل هذا الخطاب. يا أبا الخطاب. فقال: هذه كلمات. جرت عليها اصطلاحات. و الزيادة في بسطها نقص لكون العبارة تريد حلها فتعقدها. و لما تتحقق ماهيتها إلا بالذوق. إن كنت لها من أهل الشوق. و ستذوق المعنى. إن كنت معنا. فعليك بمزاحمة القوم بحبهم فهم يقربونك و إن أبعدك جهلك. ويودونك و إن منعك عقلك. و عما حين إن صدقت بكلامهم تكن من المفلحين.

و بعد هذا انبعث في باطني تشوف لنيل المراتب. و تشوف لملاقاتي لأعز الحبائب. وذلك عندي من أعظم المناقب. فاجتمعت به مرارا. و سقاني حلاوة بعد مقاساتي لمرارة الإمارة. في شقاوة القساوة. و لولا ما أراه من نفسي من حب المحمدة بما لم أفعل. و ما تميل إليه من الترأس بالدعوى سرا لما له لم تصل. لقلت مقالا. و للقول كم

---

[1] البيت من شعر الإمام سيدنا علي كرم الله وجهه، و هو ضمن أربعة أبيات و نصها:

إذا أضمأتك أكف الرجـــال كفتك القناعة شبعا و ريا
فكن رجلا رجله في الثرى و هامة همته في الثريــا
أبيا لنائل ذي ثـــــــــروة تراه لما في يديه أبيـــــا
فإن إراقة ماء الحيـــــــا ة دون إراقة ماء المحيـا

[2] هو الشطر الأخير من بيتين للشاعر الشهير الوزير إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، المعروف بالصاحب بن عباد، و قد أقدم على تشطير هذين البيتين كثير من الشعراء، و من ذلك قول الشاعر راضي بن صالح الحسيني القزويني في تشطيرها:

و قائلة لم عرتك الهمــوم و يجلى بك الهم مهما ادلهم
و أمرك ممتثل في الورى و نهيك مزدجر في الأمــم
فقلت ذريني على غصتـي فمثلي على مثلها لم يلـــم
و لا تنكري هم ذي همــة فإن الهموم بقدر الهمـــم

[3] إشارة للحديث النبوي الشريف: من عرف نفسه عرف ربه

أجد مجالا. فقالوا: حركت منا دواعي الدعاوي و ما هي إلا حجب تمنع من الوصول لمن ادعاه.

و كم من مدع لوصال ليلى و ليلى لا تقر له بذاك

فدعنا من حديث الدعوى. و مل بنا لمعاطات كؤوس أهل التقوى. بما نفسنا عليه تقوى. فقلت: و الحديث شجون. ورب متكلم رمي بالجنون: يا قوم هل تدرون ما يوم لا يوم. فقد وقر في صدري. ما يجل به قدري. و لست بشيخ طريقة. و لا مريد حقيقي بين ذوي الحقيقة. فقالوا: شنف مسامعنا. فإنك تجد عند مخاطبتنا قلوبنا معنا. ولسنا بمن يحضر للمجالس. و لا يلقي بالا لما يحدث به المجالس. و لا ممن يتتبع فلتات المنطق في القول. و يجمع قشور الألفاظ و يرمي بلباب معناها ليعظم به الهول.

فقلت لهم: يا قوم يوم لا يوم حين لا حين. و مساوات الطالحين و الصالحين. في منهج التوحيد. من غير توحيد. و لا أقصد بما قلته لكم الأزل و لا العلم القديم. بل هو شيء ساذج يكاد أن يعبر عنه من يغرف من سر بحر الأبدية. و ما تعتبر به الأحدية. ففي ذلك المظهر كنتم و ما كنت. و كنت و ما كنتم. و كنا و لم نكن. فأنتم أنا و أنا أنتم. يا قوم إنني في هذا المقام قد أرتقي في المقال. فاضمحل الخطاب و ترقى بي لمقام اللهو. فلم يكن لي حينئذ بأن أقول أنا هو حين ذقت من معنى شراب الهوى. الذي قال فيه الشاطح:

أنا من أهوى و من أهوى أنا[1]

[1] هو مطلع خمسة أبيات للعارف بالله الشيخ الحسين بن منصور الحلاج و نصها:

أنا من أهوى و من أهوى أنـــا نحن روحان حللنا بدنـــــا
نحن مذ كنا على عهد الهـــوى تضرب الأمثال للناس بنـــا
فإذا أبصرتني أبصرتــــــــه و إذا أبصرته أبصرتنــــا
أيها السائل عن قصتنـــــــا لو ترانا لم تفرق بيننـــــا
روحه روحي و روحي روحه من رأى روحين حلت بدنا

و قد صحوتُ بعد ما سكرت من خمر الخطاب. ففهمت الصواب. و تحققتُ بأني عامي محض. أمي صرف. لكن تاقت نفسي للاستطلاع على حقيقتي. فجلت جولة في كوني. فخرجت عن دائرة النقطة التي تحت الباء. فوجدت نفسي في فراغ العبودية. لكن من حيث التذلي لا من حيث الترقي بالروح. لا بالروح و الجسم. لأن ذلك مقام لم يكن إلا لمن رفعه الله إليه. أو رفعه مقاما عليا. أو أسري به فكان عبدانيا. فكدت أن آتيه في ميدان الفراغ الذي هو نفس العدم و نفس الوجود. قد اجتمع الضدان هنا مشاهدة و ذوقا. لا عقلا لعقل العقل عن الجولان في هذا الميدان. والله ثم و الله لقد رأيتني في حيز الفراغ أنظر السماء دخانا. و البروج في خللها و هي في حيز. والأرض مثل السفينة و هي في حيز. و علمت هنا ما في نفس البشر من سر الحق الذي أدار به الأفلاك و لما رأيت هذه الأحوال. و هي في الحقيقة أوحال. ألزمت نفسي الرجوع لأبناء الجنس. و ألجمتها بلجام الحق حتى لا تخرج عن الحس. و خفت عليَّ مني. و مني عليَّ. و ذلك من توفيق الحق. فطويت رأسي تحت جناحي.[1] وأخذت الحذر. في البدو و الحضر. بعدم استعظام ما تجلى لي خشية الوقوف معه. فلم أعبأ في هذا المقام بنتيجة الدعوى. لتحققي بأنها بلوى. سيان كنت فيها محقا أو مبطلا. فقالوا: ثم ماذا فعلت. فقلت: فعلت فعلتي. و لبست من لباس الخمول حلتي. فلم أتظاهر بمظهر من يأكل من مال الغير بإغراره. و لا بمظهر من يربي لربه و هو مقيد في قيود أكداره و أغياره.

---

[1] قريب من هذا قول الشاعر:

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى ... بنفائس الأموال و الأربـــــاح
و ظننت جهلا أن حبك هيـــــن ... تفنى عليه كرائـــــم الأرواح
حتى رأيتك تجتبي و تخص مــن ... تختاره بلطائف الأمنـــــــاح
فعلمت أنك لا تنال بحيلـــــــــة ... فلويت رأسي تحت طي جناح
و جعلت في عش الغرام إقامتـــي ... فيه غدوي دائما و رواحـــــي

و لكن عرفت أن التباعد من هذا الأمر لا يكون إلا باتخاذ حرفة.[1] و لم أجد حرفة تشغل أفكاري عن الدعوى أكثر من تداخلي في حيز المستخدمين.

فالحمد لله على هذه الحالة. فها أنا ذا في راحة بال من هذه الحيثية. و إن كنت في شغل شاغل قلما أجد منه مخلصا. و لكن الله قادر على ستر القبيح بإظهار المليح. وهو المطلع على ما في صميم الصميم. فهذا ما أملاه علي الوارد لأكتبه. و قد كتبته علي الكتبة. و قد قيل:

فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

و لم أكتبه عن اختيار. و إنما هو شبه اضطرار. لذلك إن صادف عندك ما كتبناه لك قابلا فهو نافع إن شاء الله. و إلا فقد طابق كتابكم لنا. و كل كلام له جواب. و لم أتعرض فيه لشتم أحد. و لا للإعتراض على أحد. و كذلك في جوابنا الطويل عن رسالتكم المشار لها. فقد جاريناكم فيها. و المقصود من ذلك كله سلوك طريق الجد بالجد. و تنبيه المريدين على شروط الطريقة التي يتم إن شاء الله بها القصد. متحققا بأنها تقع عندكم موقع القبول. فتعمل بمقتضاها. و لا تتأثرون عند تجلي الحق بإنكار أهل الإنكار عليكم بين الخلق. و سنكتب للسيد الأخضر الجبلي بما عسى أن يكون فيه إصلاح ذات البين. و إن لم يكن بيننا و بينه سوى مكاتبات حديثة العهد. و لم نعرفه من قبل لا إسما و لا عينا. مسلما على حضرتكم السامية. و على كل من هو منكم وإليكم. و المقصود هو الله.

---

[1] إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم: إن الله يحب المؤمن المحترف. إهـ .. أنظر مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب البيوع) باب الكسب و التجارة و محبتها 4: 106 رقم 6231. مسند الشهاب القضاعي 2: 148 رقم 1072، رقم 1073، رقم 1074. الترغيب و الترهيب، للحافظ المنذري (كتاب البيوع و غيرها) الترغيب في الإكتساب بالبيع 2: 335 رقم 2611.

و بعد كتبي لهذه الأسطر عزمت على تمزيقها لما اشتملت عليه مما يعد من قبيل الشطح. الذي يحتاج في بعضه إلى زيادة شرح. و لكن لا تزيده العبارة إلا عقدا إذا رمت حله. و لا يحمله محمله من لم يطف بمغناه و يبلغ عنده الهوى محله. مع أني لم آل جهدا في حبس زمام القلم عن الزيادة في هذا الموضوع. و لو طاوعته لأملى ما يمله من يجله. و ما هو إلا من العلم اللدني الذي حُمنا حوله. و إن لم نكن عند أهل التحقيق أهله.

و كم من كلام ليس يفهمه الـــذي تكلم عند السامعيـــــن به حقـــــــــــا
يزيد ارتقاء في الدّعاوي به و لم يزل في انخفاض و هو في زعمه يرقى

فإذا طالعت كلامي هذا فلا تطلع عليه غيرك. حتى لا يحمله على ما لم أقصده. و لِمَا يراه من له أغراض فيفرغه في قالب التمويه. و إني لأشم ممن طالع هذه الكلمات رائحة التنافس النفساني. فيكاد أن يمزقه بعد قراءته. و ربما نسبني فيه للإنتحال. إن استعظمه أحزابه الحافظون لرياسته. فكن أول كاتم له. و إن شوش عليكم آخر فيما أنتم بصدده فلا تلتفتوا له. فإن للحق سلطانا. و إن يكن من عند الله يمضيه. وباستحضار هذا المعنى تستريح و تريح. و نحن بصدد جواب ما يرد علينا من مكاتبتكم بسلامة صدر و طيب نفس. و نحن على ما تحبون و تودون. طبق ما تعتقدون. و مرحبا و أهلا و سهلا بكم. و بمن هو منكم و إليكم عندما تقدمون. وحسبنا الله و نعم الوكيل. و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلّم.

و نص الكتاب الذي وجهه المجاب بالكتاب أعلاه: بسم الله الرحمن الرحيم. و صلى الله على الحامد المحمود. دستور. وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد. وسلام الله. السلام للخل الحميم. و الحلامل الكريم. وليّ الله العارف به سيدي سكيرج قاضي وجدة. أيَّدك الله و سددك. و أشكرك في جمال محبته. و أخذك عنك في شهود عظمته. وإفناك عنك حتى لا أنت و لا شهود. و هو الشاهد المشهود. و إبقاك به و بحبيبه

صلى الله عليه و سلم بقاء و بقاء و بقاء. و حينئذ تجد كل معناك في طلسم مبناك. وتعلم من أنت؟ و ما أنت؟ و من أين أنت؟ و إلى أين أنت؟ و ما المراد منك في أين وبعد:

أيها الحبيب قد بلغنا سلامك مع بعض الواردين. بل فرحت بك فرحا يعلمه الله حين سمعنا بقدومك لوجدة قبل الوصول. لما كان بقلبنا من ممازجة محبتك. و التمني لملاقاتك. من الوقت الذي كنت بمستغانم[1] و كان خالنا الشقيق العلامة الهمام سيدي عبد القادر بن قدا مصطفى[2] يثني عليك. و يبلغني سلامك. و يقول لي: إن فلانا يعني السيد سكيرج له شغف برقائق الفن اللدني. ليته اجتمع بك. و كنت أحبك لمحبة الفن الذي هو قوت حياتنا. و حياة مشايخنا و أحبابنا. و كنت أتمنى القدوم لفاس لملاقاة بعض أحبابنا هناك. و عندي نية لملاقاتك. و لما قدمت نويت ممازجة في الله معكم لقرب المسافة. و لنا أيضا أحباب و قرابة بوجدة منهم في المخزنية و في غيرها. إذا زرناهم نغنم ملاقاتكم. فإذا سيدي الأخضر الجبلي عامله الله بما يستحق شوش علينا الحال. حيث قبض الرسالة و أشاع بها في نواحي كثيرة بقصد الرد و الابتذال. فانقبض قلبي عن ملاقاتكم. مع أنه رجل لا معرفة بيني و بينه. لكنه كان من جملة المتعصبين على إذايتي منذ دخلت لندرومة. و لما دخل في الطريق التجانية في هذه المدة القريبة جعلها سلما لغرضه القديم. فإن شئت أن ترده للمحبة و المودة فهو أفضل. و إلا فيد الله فوق يده و لولا الحب من أمثالكم لأمرت طلبتنا و فقهاؤنا يجيبونه بألف جواب. و الآن ظهر لي أن أبعث لك ما أجبته به من الرسائل. لكن لم أعطها له سوى الغراء. خوفا أن يفعل بها كالأولى.

و أحبابنا يسلمون عليكم. و خصوصا المقدم البركة سيدي محمد بن رحال. و لما يقدم من الجزائر ربما يكون عندنا سفر لوجدة إن شاء الله. و لا سيما إن قدم الشيخ المفتي.

---

[1] مستغانم: مدينة صغيرة. تقع في الشمال الغربي من بلاد الجزائر.

[2] عبد القادر بن مصطفى بن قدا. مفتي مدينة مستغانم الجزائرية، فقيه صوفي أديب، أنظر ترجمته في الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سيدي أحمد سكيرج 68.

فنجتمع إن شاء الله على سرور المحبة في الله لله. و نريد منك أن تجاوبني فيما بيني و بينك بعد قراءة هذه الرسائل. و لا بد أن تكاتبني و أكاتبك برسائل السلام. و إن كان في جواب سيدي الأخضر ما يشوش فابعث لي حتى تكون بيننا و بينكم مراجعات بقصد الاستفادة لا بقصد الاعتراض. و أما الأول الذي أجبته بالرسالة التي عندك فإنه أساء الأدب كثيرا. حتى لما قال له الفقير: إنا نذكر الاسم الأعظم الله. قال له حاش لله أن يكون كذا و كذا كما رأيت في الرسالة. و سلم على أحبابنا في الله العلامة سيدي الحاج العربي. و العلامة الحاج التهامي. و العلامة سيدي الحاج محمد المازوني. إن جمعكم مجلس. و إلا فلا كلفة بارك الله لنا فيهم و فيكم. و به خديم المتحابين. محمد بن سليمان سلمه الله وأحبابه في الدارين آمين.